راحيل من نافذة كوخه قائلًا لها ان هذا الكتاب يرشدكِ بالتطويل الى ما لا استطيع ارشادكِ اليهِ فخذيهِ فهو اجل كتاب صنعتهُ يدُ بشر لان الانجيل لم يأتِ من البشر

وقد طلبتِ مني قبلًا ان ادلّكِ على علاج يشفي اوجاعكِ او في الاقلّ على سر الصبر عليها. فاعلمي ان السرّ كلهُ موجود في هذه الاوراق فمنها كنتُ استمدُّ عزاء وقوة حتى الآن ولا ريب عندي انها توليكِ مثل ما اولتني

امّا راحيل فتناولت هدية الحبيس وهي لا تبالي وكان عنوانها هاتين الكلمتين « الاقتداء بالمسيح » فلمّا قرأتهما توهمت ان الاب يوحنّا يستهزئ بها فقالت في نفسها: « اذا كان الكلام الحيّ لم يأسُ كلوم نفسي فمن اين لحروف ميتة في هذا الكتاب ان تدفع عني نكبتي ». ومن ثم تأكّد لها ان الرجل القديس يشير بذلك الى إعضال دائها واستحالة شفائهِ وانهُ لم يبقَ عندهُ من دواء لعلاجها. ولمّا كانت المعارك الباطنة قد هدّت قواها مدة سنة بكاملها رأت ان افضل الاشياء ان تتمسك باذيال الجلد والصبر وتحني عنقها هذه المرّة ايضًا لنصائح الشيخ القديس

ومع ذلك كان عتوها كامنًا في صدرها كالنار تحت الرماد. وقد لاحظ الاب يوحنّا ما في باطنها فقال لها قبل ان صرفها من عندهِ:

اكِدي لي يا راحيل انك من الآن فصاعدًا تنبذين العناد نبذًا وكلّما عرضت لكِ مرارة فاجئي قدام الله وقولي لهُ: « ربي وسيدي انك لم تكذب في قولك « طوبى للباكين » فانزل عليَّ شيئًا من الطوبى التي يتضمّنها هذا الوعد الالهي » (ستأتي البقيّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢٧ بلاد بشرّاي

بلغ بنا تتبُّعنا لآثار لبنان الى مشارف هذا الجبل وها نحن ذا في معاملتي اهدن وبشرّاي. على ان هذه الجهات دون السواحل الفينيقيّة من حيث مآثرها القديمة. وانما هي

معتبرة لسبب آخر « لكونها اصبحت مهدًا للطائفة المارونيّة » (قال ذلك رينان) فنمت في ارجائها واتّسعت منذ نحو ١٢٠٠ سنة

امّا اذا ضربتَ صفحًا عن نشأة الموارنة في تلك الاصقاع فلا تكاد تعثر على امر ذي بال يستدعي التفات العلماء اليها. وكانت بلاد بشرّاي في سالف الزمان قليلة الاهلين تمتدُّ في معاطف جبالها غابات الارز الباسقة. ولعلَّهُ ظهرت فيها بعض القرى ومن جملتها بشرّاي. لكن الامر محمول على الحَدْس فقط. ولا احد من العلماء حتى الان وجد فيها اثرًا يرتقي الى عهد اليونان او الرومان

امّا اسمها بشرّاي ويكتبهُ البعض بشرّة وبشرّي فقد اختُلف في معناه. قيل (١ انَّ اصلهُ بيت الشرى يراد بهِ بيت عشتروت. فان صحَّ هـذا الاشتقاق دلَّ اسمها على قرية عريقة في القدم عبد فيها اللبنانيون إلهة السماء الفينيقيَّة كاهل جبيل

والمرجَّح انَّ مؤرخي الصليبيين ارادوا هذه البلدة في تآليفهم لمَّا ذكروا قريةً يدعونها Buissera و Bussera وهي من القرى التي كانت لاحقـة باملاك صاحب طرابلس واليها تُنسب احدى الأُسر الفرنجيَّة الشريفة كما روى « راي » في كتاب مستمرات الفرنج (٢. امّا تاريخ الأمّة المارونيَّة فانَّهُ يجعل في بشرّاي وجوارها الحوادث التي جرت في اوَّل ظهور الطائفة غير انَّ هذا التاريخ لم يدوَّن منذ عهد قديم كما لا يخفى

ومِمَّا ذكرهُ صاحب اخبار الاعيان (ص٢٠) انَّ مولد القديس صفرونيوس بطريرك اورشليم في القرن السابع كان في بشرَّة وقد كان سألنـا احد السائلين في المشرق (٤: ٢٠٠) هل صحيح انَّ هذا القديس وُلد في « بسري » كما يزعم اهل التقليد. ولا نعلم اي التقليدي هو الصواب أبشرَّة كما قال الشيخ طنوس الشدياق او بسري كما زعم السائل. وعلى كل حال فقد بيَّنا هنالك انَّ القديس صفرونيوس وُلد في دمشق لا في لبنان واستندنا في قولنا الى شواهد لا تُنقض

ولنا في تاريخ اهدن ما يزيد ثقتنا بقدم عهدها. على اننا لا نسلِّم بالتقليد الذي يجعل الفردوس الارضي في اهدن (٣ . ومن روى ذلك يزعم انَّ اهدن هي جنَّة

١) راجع كتاب فلسطين لابرس وغوتي Ebers und Guthe: *Palæstina* II. 448

٢) راجع Rey: *Colonies franques* q. 363 وراجع ايضًا PDP, V, X, 211, 204

٣) ذكر هذا التقليد العلَّامة الدويهي في تاريخ الطائفة المارونية (ص ١١٦)

عدن وان اسمها مشابه للعبرانيّة ٦٣٣. وهذا قول لا سند لهُ وكذلك قد وهم الذين ظنّوا انّ اهدن هي المدينة التي ذكرها بعض القدماء ودعاها Τριπαράδεισος او Παράδεισος لانّ موقع هذه المدينة في جنوبي حمص على مسافة ست ساعات من حمص ونصف الساعة من ربلة وكانت على العاصي في مكان قرية جوسيّة الجديدة كما اثبت الامر السائح العلامة موسيو دوسو (راجع المشرق ٣: ٣٤, ٣٥)

وقولنا هذا لا يبخس شيئاً من حقوق اهدن ونحن اوّل من يقرّ بحسن موقع القرية وطيب هوائها وجمال مناظرها الفتّانة امّا الادلّة على قدمها فكتابات ثلاث وُجدت فيها ثنتان منها باليونانيّة والثالثة بالسريانيّة. فالكتابة اليونانيّة الاولى قد طمسها الدهر ولم يُبقِ منها الّا سطرين في آخرها وهناك تاريخ تسطيرها وهي السنة ٥٨٤ للاسكندر توافق السنة ٢٧٢ م. والكتابة اليونانيّة الثانية مرقومة على قبر مجاور لكنيسة القديس ماما. وهي مطموسة لا يسمح سوء حالها من تفسيرها وليس لها تاريخ ظاهر وفي رأسها صليب صغير يعلوها ولكن هذا لا يكفي لان ننسب الكتابة للنصارى لانهُ امكن المسيحيين ان يحفروا هذا الصليب بعد ذلك بقرون عديدة. وقد اخذنا رسم هاتين الكتابتين عن الحجر ولكن لم يمكنّا ان نصلح في شيء ما اثبتهُ وينان في كتاب بعثة فينيقية. وهو ايضاً ذكر الكتابة الثالثة المكتوبة بالسريانيّة بالحرف الاسطرنجلي وهذا تعريب ما بقي منها: « بسم الله الذي يُحيي الموتى في سنة ١ — للاسكندر . . . وقد ومات مرقس . . . »

وفي اهدن كنائس عتيقة ذكرنا في مقالة سابقة ما لها من الخواصّ الهندسيّة فلتُراجع

وترى على مقربة من اهدن عدّة قرًى كالحدث وحصرون وغيرهما من الضياع التي لا نجد فيها شيئاً من الآثار الناطقة عن قدمها. الّا انها مذكورة في اخبار الطائفة المارونيّة كما نقلها الينا التقليد فيكون ابناء مارون اول من حوّل هذه الاماكن ذكرًا تاريخيًا ولعلهم الذين انشأوها فسكنوها والله اعلم (ستأتي البقيّة)